

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمته النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر الرسول بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وأنه في المسيح صار جميع المؤمنين من شعب الله. وكشف أنه في ملء الزمان أرسل الله المخلص المسيح، الذي دفع ثمن خطايانا بموته الكفاري.

ثم ذكر الرسول بولس قارئيه في غلاطية أنهم قبل إيمانهم بالمسيح كانوا مستعبدين لآلهة وثنية مزيفة، وتساءل هل تريدون العودة إلى نوع آخر من العبودية، التي هي عبودية قوانين الناموس الثقيلة وأنظمتها الضعيفة؟ والتمس منهم وهو الذي كان يهودياً، أن يتحرروا من عبودية الناموس. ثم عاد وذكرهم أنه عندما أتى إليهم حاملاً رسالة الإنجيل، فقد قبلوه كملاك من الله. وتساءل هل صرت الآن عدواً لكم بسبب خداع أولئك المعلمين؟

وتابع الرسول بولس قائلاً للمؤمنين في غلاطية: "يغارون لكم ليس حسناً بل يريدون أن يصدوكم لكي تغاروا لهم. حسنة هي الغيرة في الحسنى كل حين وليس حين حضوري عندكم فقط." (غلاطية ٤: ١٧ و ١٨) أراد الرسول بولس القول هنا، أن أولئك المعلمين يظهرون نحوكم حماسة، ولكنها غير صادقة، إذ هدفهم هو أن يعزلوكم عني، أي عن الرسول بولس، لكي تتحمسوا لهم، وتقتنعوا بتعاليمهم الخاطئة الضالة. لقد ادّعى أولئك المعلمون الكذبة من أصل يهودي، أنهم مصدر ثقة في الدين، وأنهم خبراء باليهودية والمسيحية. وإذ استغلوا رغبة المؤمنين في عمل الصواب، استطاعوا أن يجذبوا وراءهم مجموعة من الأتباع.

لكن الرسول بولس أوضح هنا أن هؤلاء المعلمين مخطئون، وأن دوافعهم أنانية، هدفها جرُّ الناس وراءهم. ولهذا على كل مؤمن أن يفحص ما يسمعه من تعاليم على ضوء الكتاب المقدس، لئلا ينخدع كما انخدع المؤمنون في غلاطية. وأضاف الرسول بولس، أنه جيد لكم أنتم المؤمنين في غلاطية، أن تتحمسوا للحق في كل حين، وليس فقط حين أكون حاضراً عندكم. وبتعبير آخر ما هو نفع حماسكم للحق عندما أكون موجوداً معكم فقط؟

وبلهجة الأب المحب تابع الرسول بولس قائلاً لهم: "يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم. ولكني كنت أريد أن أكون حاضراً عندكم الآن وأغيّر صوتي لأني متحير فيكم." (غلاطية ٤: ٩ و ٢٠) لقد كان الرسول بولس هو أوّل من بشر برسالة الإنجيل في منطقة غلاطية، وآمن الكثيرون من الوثنيين هناك بالمخلص المسيح نتيجة لكرازته. ثم ساعدهم الرسول بولس على النمو الروحي في الإيمان المسيحي. أي كان الرسول بولس أباً روحياً لهم، ويهتم كل الإهتمام بحياتهم الروحية. ولهذا قال لهم هنا يا أولادي الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم. فهو صورّ جهاده من أجلهم كآلام مخاض الولادة عند الأم.

أما هدفه من هذا المخاض أو الجهاد الروحي من أجلهم، فهو لكي يتصورّ المسيح فيهم. أي يصبحوا مشابهيين للمسيح في كل نواحي حياتهم. ولهذا لم يكن غريباً أن يحزن أكثر عندما رآهم ينساقون وراء تعاليم خاطئة. وأبلغهم بتأسف أنه كان يود لو يكون حاضراً عندهم، ويستطيع عندها أن يغيّر صوته أمامهم، فيخفف من حدة لهجته إذا تجاوبوا مع التوبيخ، أو يتحدث بحزم إذا تمردوا عليه. فهو مازال في حيرة من أمرهم.

ثم انتقل الرسول بولس إلى موضوع هام آخر فكتب قائلاً: "قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس أستمع تسمعون الناموس. فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة." (غلاطية ٤: ٢١ و ٢٢) عاد الرسول بولس مرة أخرى للحديث عن إبراهيم الخليل لكي يشرح الفرق الشاسع والبعيد بين عهد الناموس أو شريعة الله في العهد القديم، وعهد النعمة أو العهد الجديد الذي تمّ من خلال المخلص يسوع المسيح. كان إبراهيم الخليل الجد الأكبر الذي انحدر من نسله العبرانيون قديماً، ولهذا لم يكن غريباً أن يدعم الرسول بولس حجته ضد هؤلاء المعلمين المسيحيين من أصل يهودي، استناداً إلى سيرة إبراهيم الخليل.

وكان هؤلاء المعلمون الكذبة يخدعون المؤمنين بالمسيح من أصل وثني، بإدعائهم معرفة حقائق العهد القديم من الكتاب المقدس. بينما كانوا في حقيقة الأمر يزيفون الحقائق الكتابية ويشوهونها. وكما نعلم فإن كل ما حصل من حوادث حسية في العهد القديم كان يشير ويرمز إلى حقائق روحية ستتم في العهد الجديد بعد مجيء المخلص المسيح. وهو ما أراد إيضاحه هنا الرسول بولس من سيرة إبراهيم الخليل.

يتساءل الرسول بولس في بداية عرضه للموضوع قائلاً: أنتم الذين تريدون أن تحفظوا الناموس أو الشريعة، أستمع تعلمون حقيقة ما جاء في هذا الناموس؟ وهو هنا يلفت انتباههم إلى حقيقة هامة كانوا يتجاهلوها. والحجة التي انطلق منها الرسول بولس في نقاشه هو أنه كان لإبراهيم الخليل ابنان، الأول إسماعيل الذي ولد من جاريته المصرية هاجر، والثاني اسحق الذي ولد من زوجته سارة.

وتابع الرسول بولس قائلًا: "لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذي من الحرّة فبالموعده." (غلاطية ٤: ٢٣) ولكي نفهم ما قصده الرسول بولس هنا علينا أن نعود إلى العهد القديم من الكتاب المقدس. لقد وعد الله إبراهيم الخليل أنه سيباركه ويكثر نسله كنجوم السماء وكالرمال الذي على شاطئ البحر. لكن بالرغم من وعد الله هذا، لم يكن لإبراهيم ابن من زوجته سارة، وقد أصبح عمره خمسة وثمانين سنة. فاقترحت سارة زوجته عليه، أن يدخل على جاريتها المصرية هاجر، لكي يرزق الله لهما بنين. فسمع إبراهيم لقول امرأته سارة، ودخل على هاجر التي ولدت له ابنا دعاه إسماعيل. ولهذا قال الرسول بولس هنا أن الأول الذي ولد من الجارية ولد حسب الجسد. أي ولد باستحسان بشري وبتخطيط جسدي، من قبل سارة وإبراهيم، وكأن الله لم يكن له يد في الموضوع.

لكن الله عاد وأكد وعده لإبراهيم أنه من زوجته سارة العاقر سيكون له ابن، وكان قد أصبح عمر إبراهيم مئة سنة، وأصبح عمر سارة زوجته تسعين سنة، أي كانا شيخين متقدمين في الأيام. وفعلا افتقد الرب الله سارة كما تكلم، فحبلت وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته. ودعا إبراهيم اسم ابنه اسحق. وهكذا ولد اسحق من الحرّة التي هي سارة زوجة إبراهيم، بحسب وعد الله أو بحسب الموعد.

لكن إلى ماذا يرمز أنه كان لإبراهيم ابنان، واحد ولد حسب الجسد، وآخر ولد بحسب الموعد؟ هذا ما سيجيبنا عليه الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في غلاطية. وهو ما سنتحدث به في اللقاء القادم إن شاء الله.